مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد 07 العدد 02 جوان 2024 ص ص 427ـ447
ر س ل و (ISSN): 2602ـ618X / ر س ل و إ (E-ISSN): 2710ـ8031

قراءة ونقد في قيم ومواقف المرأة الإباضية في عيون الشيخ محمد علي دَبُّوزْ من خلال مؤلفه تاريخ المغرب الكبير

Reading and Critique of The values and attitudes of the Ibadi Women in the eyes of Sheikh Muhammed Ali Dabouz as depicted in his book Tãríkhu almãgríb alkãbir

بوعروة بكير ♦

جامعة غرداية، bouaroua.bakir@univ-ghardaia.dz

تاريخ الإرسال: 2023/02/13 تاريخ القبول: 2024/06/20 تاريخ النشر: 2024/06/30

الملخص باللغة العربية: الشيخ محمد علي دَبُّوزْ كاتب مؤرخ وأديب جزائري مميز، معاصر للاستعمار الفرنسي، له عدة مؤلفات مطبوعة، ومنها كتابه الشهير بتاريخ المغرب الكبير في ثلاثة أجزاء، ويتناول في جزئه الثاني تاريخ الدولة الرُّسْتُمِية بشكل من التوسع، وهو كتاب هام يتسم أسلوبه بمظهر أدبي واضح ونثر مميز، إضافة للمعارف التاريخية الغزيرة.

من المعلوم أن جلّ المؤرخين لم يهتموا بالتاريخ الحضاري مثل اهتمامهم بالتاريخ السياسي، إلا أن الشيخ دَبُّوزْ تناول التاريخ الحضاري بإسهاب، ومما تميز به أنه كتب بشكل مطول عن المرأة الإباضية ودورها في قيام الدول الإباضية المختلفة ثم الرُّسْتُمِية المغربية، وذلك بأسلوب أدبي متين، وقد بدأ سرد تاريخها انطلاقا من أرض المشرق وصولا إلى أرض المغرب الإسلامي، وهو أحيانا يُغْرِق في بعض التفاصيل الجزئية، ويبدو مُركِّزا بشكل واضح على مواقفه من الثورية والحماس الوقاد واغتراف المعارف والعلوم[1]؛ وكل ذلك من أجل قيام الدولة المنشودة ذات الجذور الرصينة المبنية على أساس الخلافة الراشدة كما يعتقد بشدة، وهو في شق آخر يتناول الجانب الإثني ودوره في قيام الثورة، إذ أن الثورة من سمات البربر منذ الأزل كما يقول ويؤكد عليه، وبالمقابل وحتى لا يفسر كلامه خطأً فإنه يشير بوضوح إلى بغضه للتعصب والخلاف، وهو إلى ذلك يبغض بشكل واضح بعض مظاهر النساء التي رآهن زمن المستعمر الفرنسي، إذ يقارن

♦ المؤلف المرسل

1 " معاذ الله أن تكون عندنا أمة لا تعلم منزلة يبيت فيها القمر " هذا بالنسبة للإماء فما بالنا بالحرائر" الشماخي، السير، ج2، ص: 195. الباروني: رسالة سلم العامة، ص16.

بين ضدين أصيل ومستورد، وهو يؤسس ويدعو لمنظومة القيم ومن ضمنها قيم الدولة الاباضية الرُّسْتُمِية أنموذجا قيما.

إن الشيخ دَبُّوزْ هو ناقل لمعارفه الغزيرة من المصادر الإباضية التي يشير إليها بوضوح، كما نقل عن مصادر ومراجع أخرى أشار لها في النص، إلا أنه تفرد أنه مرجع عام جامع مانع لمختلف أخبار وسير وتاريخ النِّسْوة الإباضيات بشكل موسع، وبالتأكيد هناك دراسات قيمة مذكورة في البحث، إلا أنها مختصرة ومركزة مقارنة بما كتبه الشيخ دَبُّوزْ الأديب المؤرخ الأريب.

الكلمات المفتاحية: المرأة؛ الإباضية؛ الثورة؛ دبوز؛ الرُّسْتُمِية

Abstract:
Sheikh Muhammad Ali Dabouz is a distinguished writer, historian and writer, contemporary with the French colonialism. He has several published books, including his famous book, The History of the Great Maghreb in three parts. In its second part, it deals with the history of the Rustamid state. abundant historical.
It is well known that historians did not care about cultural history as much as they care about political history, but Sheikh Dabouz dealt with cultural history in a way that appears, but rather he wrote in his solid and lengthy style about Ibadi women and their role in the establishment of the Rustamid state, starting from the land of the East to the land of Morocco, which is drowning in Some subtle details, and we see it clearly focused on revolutionary values and attitudes enthusiasm and transfer of knowledge and science; For the sake of the establishment of a state with solid roots based on the rightly guided caliphate, and in another part that deals with the ethnic aspect and its role in the revolution, as the revolution is one of the characteristics of the Berbers since time immemorial, as he says and affirms it, and in order not to misunderstand his words, he clearly indicates his hatred of intolerance and disagreement, and to that he He clearly hates the appearances of women that he saw during the time of the French colonizer, as he compares the two opposites, and establishes and calls for a system of values, including the attitudes of the Rustamid state as a valuable model.
Sheikh Dabouz is considered a transmitter of his knowledge from the Ibadi sources that he refers to clearly, and he quoted other sources and references that he referred to in the text, as he did not

depend on the marginalization that is currently in force, but he is unique as a comprehensive general values and attitudes reference that prevents the various news of Ibadi women extensively, and certainly There are valuable studies mentioned in the research, but they are brief and focused compared to what Sheikh Dabouz wrote.

Keywords: Women; Ibadism; Revoulution; Dbboz; Rustamia

المقدمة:

الشيخ محمد علي دَبُّوزْ قامة علمية جزائرية مميزة من مواليد مدينة غرداية سنة(1937م)، وله مؤلفات تاريخية مشهورة، ومن بينها نجد كتاب: تاريخ المغرب الكبير؛ وهو كتاب موسوعي فيه كتب عن بلاد المغرب الكبير من أقدم العصور إلى الوقت المعاصر، وتناول فيه بإسهاب تاريخ بلاد المغرب الكبير وتطوره في مختلف المجالات الثقافية والسياسة والاقتصادية بأسلوب أدبي جذاب.

لقد كان الحضور النسوي في كتب التاريخ -خاصة ببلاد المغرب الكبير- قليلا وعرضيا، حيث إن جل المصادر -وكما هو معلوم- تهتم بالسياسة وشؤونها، وتهمل الشؤون الحضارية في العموم، ولقد نالت النساء قسما من الإهمال، وعلى الرغم من ذلك فلقد سجلت كتب التراجم بعض الأمور الهامة، ونسجل هنا إسهام السير الاباضية في ذكر بعض النتف عن النساء الإباضيات في مختلف الميادين الفكرية وغيرها، وهو ما نجده عند مؤرخي الاباضية المصدرية كالوسياني والشماخي وغيرهما[2].

لقد استرعى انتباهي أن الشيخ تناول بكثير من التفصيل أوضاع المرأة الإباضية في التاريخ، وسأحاول إبراز هاته المآثر والمواقف من خلال ما كتب الشيخ المؤرخ والأديب، و هذا الاهتمام شمل أرض المشرق العربي، ودورها الأساسي في قيام الدولة الرُّسْتُمِية ببلاد المغرب الكبير، وهنا تكمن أهمية الموضوع، إذ قلما اهتم المؤرخون بأوضاع المرأة الإباضية، وهو ما ساقنا إلى الاهتمام بالموضوع قراءةً واستقراءً وتحليلاً ذلك في هذه البحث، ومن هذا المنطلق نطرح إشكالا مفاده:

2فطيمة بلهواري، المرأة الإباضية وإسهامها في الحركة الثقافية لبلاد المغرب، مجلة الحضارة الإسلامية، ع:16، الصادر ب 2012/05/01 ص: 464.

ماهي أبرز تجليات القيم لدى المرأة الاباضية ومواقفها النضالية وإسهاماتها في نشأة وبروز كيان الدولة الإباضية والرُّسْتُمِية من خلال عيون وفكر وقلم الشيخ دَبُّوزْ – رحمه الله-

وقد سلكنا في بحثنا المنهج التاريخي والمنهج التحليلي إضافة إلى المنهج النقدي، وتوصلنا في النهاية إلى نتائج مختلفة نحسبها هامة.

سيكون بحثنا في البداية عرضا لحال المرأة الإباضية في بلاد المشرق العربي الإسلامي، ونضالها القيمي هنالك، ومشاركتها في سبيل قيام دولتها العادلة، وذلك تحت لواء أبي الخطَّاب بعد انتقاله إلى الأرض المغربية، ونتناول انتقال الفكرة الثورية إليهن عبر بث العلم، وبناء على ذلك سنستعرض نماذج لنساء بعض الأئمة في الدولة القائمة في أرض المغرب الإسلامي بعد نضال مرير، ونستعرض صفاتهن، ونصل في نهاية البحث إلى آمال ورؤية الشيخ دَبُّوز -رحمه الله- ومقارنته التاريخية، ورؤيته في المرأة المسلمة بناء على القيم التاريخية التي صورها في كتابه التاريخي الأدبي "تاريخ المغرب الكبير".

1): قيم ومواقف المرأة الاباضية ودورها البارز في التاريخ الإباضي

بعكس المجتمعات القديمة وحتى الإسلامية في العصر الوسيط التي ظلت المرأة فيه مهمشة، فقد احتلت المرأة الإباضية والرستميّة شأنا عاليا في منطقة الشمال الإفريقي، وشاركت في مجالس القبيلة وكان لها دور ومكانة بارزين، وقد ساهمت من خلاله في النشاط السياسي، وهو ما أغفلته المصادر بقصد وبدونه، رغم تعاظم دورها في نشأة وقيام الدولة[3].

لقد أسهمت النِّسْوة الإباضيات في قيام الدول الاباضية مع أبي عبيدة ثم مع الدولة الرُّسْتُمِية ونشأتها انطلاقا من أرض العراق، وصولا إلى أرض المغرب الإسلامي، في إطار حركية طويلة من التواصل العلمي والحضاري، وتحت أطر قيم ومواقف مهمة، أبرزها الشيخ دَبُّوزْ، فشرع في وصفها في أرض المُنْطَلق وفي مصدر الدعوة، وهو يركز على القيم العلمية ويبين خلفيتها الثورية معطيا نماذج تاريخية واضحة.

3 شرقي نوارة، ملياني زينب، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج: 05، ع: 3 جوان، 2022، ص: 384.

1-1): تضحية النساء المجاهدات في سبيل الجمهورية الإسلامية بالمشرق

كانت النِّسْوة الإباضيات اللائي ينصرن الإباضية ودعوتها في العراق مؤمنات بقضيتهن بشكل كبير، حتى أنهن كنَّ يتبرعن بالأموال والحلي للإمام أبي الخطَّاب عبد الأعلى بن السمح المعافري لقيام الدولة الإباضية، وأيضا كان يفعل ذلك للإسهام في دعم ثورات إخوانهم من الإباضية والتي كانت قائمة ضد المستبدين ببلاد المشرق، إذ كانت النساء خير نصير لما يصفه في كتبه "بالنظام الجمهوري الشوري" ويقول إنه عكس الملكي المتسلط- وكانت هؤلاء النِّسْوة يتمنين رجوع النظام المنشود من أجل إحياء الدين، ونشر العدل بين المسلمين أيا كان أصلهم، على أساس الحديث النبوي: أنه لا فرق بين عربي ولا عجمي إلا بالتقوى.

إن قيام الدولة الرُّسْتُمِية هو تواصل حضاري بعد إمامة الجلندي بن مسعود بعمان سنة 131هـ، وإمامة أبي الخطَّاب المعافري بطرابلس الغرب سنة 140هـ، وإمامة أبي حاتم الملزوزي بطرابلس اللبية سنة 145هـ، لتأتي إمامة عبد الرحمان بن رستم بالمغرب الأوسط سنة 160هـ، حيث مُهَّد وحُضِّر وأُعدَّ لها تدريجيا من خلال توفير المال والرجال من أجل الاستمرار والحياة[4].

يصف الشيخ دَبُّوز ذكاء ونباهة وبعد نظر أبي عبيده وعدم تسرعه للقتال، حيث أن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والذي ثار على الأمويين في أيام مروان بن محمد الجعدي، راسل الإباضية في العراق ليستنصر بهم ضد بني أمية، لكن أبا عبيده رفض، لعلمه بأسرار الصراع على الحكم وتغير الناس بعد القعود على الكرسي، خاصة وأن الأخير يرى نفسه أولى بالملك بسبب الحديث الشريف الوارد في غدير خم[5]، وكان يجزم بأن انتصاره هو انتصار لنفسه ولصالحه فحسب[6]، ولكنه على

4 محمد بن صالح حمدي، فقه المال العام عند الإباضية، جامعة باتنة، مجلة الحياة، معهد الحياة، القرارة، غرداية، ع: 11، ص: 223.

5 حديث غدير خم: " من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" وهذا خلال الموت. محمد صادق النجمي. أضواء على الصحيحين ترجمة: يحيى كمالي، مؤسسة المعارف الاسلامية. 1419 هـ، پاسدار اسلام، ج:2 ص 26.

6 ومن أجل تأكيد ذلك فإني سوف أروي الوقائع المؤسفة التالية عن الثائر عبد الله بن الحسن: ففي عام251هـ، روي إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بمكة، "... فقتل الجند وجماعة بن أهل مكة، وأخذ ما كان حمل لإصلاح العين من المال وما

النقيض من ذلك فهو لم يتردد في دعم ثورة طالب الحق اليمني ضد العدو المشترك لهم من الأمويين[7]، حيث أنه يختار المجال والزمن المناسب بحكمة وروية.

2-1): حماس المرأة وإخلاصها وتضحيتها في دولة أبي الخطَّاب

يطنب الشيخ دَبُّوز في وصف الحماس الذي كان لدى الإباضية من رعايا أبي الخطَّاب عبد الأعلى بن السمح المعافري؛ إذ كانوا مستعدين للموت دفاعا عن دولتهم، ولقد كانت المرأة التي تجرعت ظلم الأمويين ومن ثمة العباسيين من أصحاب النزعة الملكية أو -كما يصفهم الشيخ دَبُّوزْ بالملوكيين وذلك عكس الثائرين الذين يصفهم الجمهوريين- كيف لا وهي التي قاست هتكهم للحرمات وعدم تقيدهم بالدين ما جعلها أكثر تحمسا من الرجال للثورة ضد هؤلاء الملوكيين، وكنَّ مستعدات للتضحية بكل عزيز وغال من أجل الدفاع عن دولتهن الناشئة، وكنَّ ينفخن الحماس في قلوب الازواج والأبناء، ويرين أنه من العار أن يوجد من لا يملك سلاحا يعده للدفاع عن دولته، وأنه من المعيب من لا يحسن أساليب القتال ويكون فارسا في الحروب في سبيل الدولة الناشئة، ويضيف بأنهن زغردن وسررن لما ولدت دولة ابن الخطَّاب "الجمهورية"، ويبدو بأن ثقافة الزغردة من النساء كانت معروفة كما يظهر في تاريخ بلاد المغارب، فقد ذكر أيضا في دولة ابن تومرت خلال الحروب كما أورده المراكشي في معجبه[8].

لعل من المهم الإشارة هنا إلى الأذى القاسي الذي مارسه بعض الولاة والحكام ضد سكان المغرب الإسلامي، وسياسات المغارم والضرائب الجائرة، فقد روى الطبري حول سلمية البربر ما يلي: "فما زالو من أسمع أهل البلدان وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك أحسن أمة سلاما وطاعة حتى دب إليهم أهل العراق واستثاروهم...فقالوا إنا

كان في الكعبة وما في خزائنها من الذهب والفضة والطيب وكسوة الكعبة، وأخذ من الناس نحواً من مائتي ألف دينار، ونهب مكة، وأحرق بعضها ثم رجع إسماعيل إلى مكة في رجب، فحصرهم حتى تماوت أهلها جوعاً وعطشاً ثم رحل ... إلى جدة فحبس عن الناس الطعام، وأخذ أموال التجار وأصحاب المراكب.....، ثم رجع إلى جدة فأفنى أموالها. للمزيد أنظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري تاريخ الامم والملوك، بريل، ليدن في سنة 1879م، ج1، ص 493.

7 محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية، ج2، 2010م، ص: 158.

8 عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، محيي الدين (المتوفى: 647هـ)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تح: الدكتور صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1426هـ - 2006م، ص: 212.

نخالف الأئمة بما تجني العمال، ولا نحمل ذلك عليهم، فقالوا لهم إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك فقالوا لا نقبل ذلك حتى نبورهم"[9]، ثم كانت رحلة الوفد الدبلوماسي ورسالة البربر للخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (105-125هـ / 724- 773م) المؤثرة والحزينة، وهي تضم في طياتها تظلما عن تصرفات غير مقبولة من بعض الحكام وذلك بالخصوص في عصر الولاة؛ ويبرز التظلم خاصة في جانب بعض التصرفات في شأن المرأة المغربية التي تعرضت لأذى كبير[10].

يشرح دَبُّوز بأن كل هذا الغبن كان سببا ودافعا بأن كل رجل وكل امرأة في دوله أبي الخطَّاب يتَّقد حماسا ونشاطا في بناء دولته ويسعي للذَّوْد عنها، فكان كل رجل منهم يشتري السلاح ويتدرب على فنون القتال، ويتعلم أساليب الحروب ويرى أحسن أوقاته تلك التي يقضيها في هذا التدريب، وكانوا يربون الخيل ويعودونها الصبر والجلد والسرعة وكل ما يجعلها تقوم بهم في الحروب التي يخوضونها في شجاعة وإيمان[11].

وقد كتب الدكتور بحاز: "لقد كانت المرأة الوعاء الحقيقي للإباضية حيث حملت هذا المذهب بأمانة، تدافع عنه وتربي الأجيال عليه".

1-3): مشاركة المرأة الإباضية المشرقية في النضال لنصرة الإمامة الإسلامية

في العهود الإسلامية، شاركت المرأة في هذا النضال والجهاد لإحياء الإمامة الإسلامية المنشودة -الجمهورية لا الملكية-، فلم يكن أثر أبي عبيدة مقتصرا على

9الطبري، تاريخ الرسل، دار التراث، بيروت، 1387هـ، ط2، ج4، ص: 254.

10 لما اشتد ظلم الولاة خرج ميسرة المطغري إلى هشام بن عبد الملك مع آخرين فطلبوا الإذن فصعب عليهم فأتوا الأبرش وزير هشام بن عبد الملك فقالوا: أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبجنده فإذا أصاب نفلهم دوننا وقال: تقدموا وأخر جنده فقلنا: تقدموا فإنه ازدياد في الأجر ومثلكم كفى إخوانه. ثم إنهم عمدوا إلى ماشيتنا فجعلوا يبقرونها على السخال يطلبون الفراء الأبيض لأمير المؤمنين فاحتملنا ذلك، ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا فقلنا: لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ونحن مسلمون، فأحببنا أن نعلم عن رأي أمير المؤمنين ألهم ذلك أم لا؟ قال: نفعل فلما طال عليهم ونفدت نفقاتهم كان وجههم إلى إفريقية فخرجوا على عامل هشام فقتلوه واستولوا على إفريقية. للمزيد أنظر: الطبري، تاريخ الطبري 4، ص: 254-255، وانظر الكامل ج:3، ص: 45. محمد بن رزق بن عبد الناصر بن طرهوني الكعبي السلمي أبو الأرقم المصري المدني، التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1426هـ.

11 دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج2، ص: 250.

الرجال، بل كان في النساء أيضا، فبرزت شخصيتها في المجتمع، وأخذت حظها من العلم، وكان منهن المجاهدات والمسبلات والعالمات، وشاركت الرجل في جهاده السياسي، وكان الكثير منهن يتخذن بيوتهن المستورة التي لا يتطرق إليها الشك مقرا للثوار، فلم يلاحظها لا الجواسيس ولا الشرطة التي ظلت تفتش عنهم دون جدوى، فكان الثوار يعقدون فيها الاجتماعات، ويخبئون فيها الأسلحة والأموال التي يجمعونها للثورات مشرقا ومغربا، ومن هاته الثورات نجد:

1):ثورة طالب الحق، 2): ثورة أبي حمزة المختار في العين والحجاز، 3): ثورة أبي حاتم الملزوزي، 4): ثورات الإباضية الأخرى على الظلم في المغرب[12].

3-أ): المرأة الاباضية سعيدة المُهَلَّبِية أنموذجا للنضال

كان التجسس عملا معروفا في بلاد المغرب كما في المشرق، وكان الأمر يناط للنساء والجواري كما يناط للرجال[13]، وكانت هناك دور بارز لسعيدة المُهَلَّبِية؛ زوجة عبد الله بن الربيع (خال العباس المهدي) كما يلقب[14]، وقد كان زوجها عبد الله وابنه له -من زوجة غير سعيدة- من المناصرين المتحمسين للدولة العباسية ولخليفتها المنصور العباسي (ت:158هـ/775م)، وكان للابن جاريتان إباضيتان بربريتان، وكانت إحداهما تسمى سعيدة، وكانت تكلم الابن في السياسة وشؤونها، وظلت تقنعه بمنطقها وحماسها بالحجة المقنعة حتى اقتنع بكلامها ودخل في حزبها، بل لقد صار يحضر المجالس الاباضية السرية، حتى في دار أبيه العباسي بغير علم ولده —طبعا-[15].

لقد كانت جاريتاه من أصل غير عربي، وكانتا يبغضن التعصب للجنس، والتعصب ضد غير العرب، وقد كانتا تبغضان سياسة التفريق بين المسلمين، كيف لا وقد خلقهم الله أمة واحدة، وكانتا تأملان أن يأتي يوم تسوي في معاملتها بين المسلمين ويحترم التقوى والورع والاستقامة لا اللون ولا الجنس ولا المال ولا المظاهر البراقة،

12 دبوز، تاريخ المغرب، ج2، ص: 210.

13 محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن، تح: ماريا خيسيوسبيغيرا، الشركة الوطنية للنشر، دط، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1981، ص: 285.

14 الشماخي، السير، ص-ص: 109- 110. وانظر أيضا؛ مج مؤلفين، معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب) جمعية التراث، دار الغرب الإسلامي، 1999م، ج:1، ص: 272.

15 بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية (قسم المشرق)، دار الغرب ص: 61 .

وهذا استنباطا وتطبيقا لروح الدولة الاباضية التي جعلت من أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة الأسود البشرة رئيسا وارتضوه إمامهم، وهو دليل واضح على عدم العصبية لدى الاباضية، وكأنه تطبيق لحديث رسول الله ﷺ(عليكم بالسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة) [16]، هذا مع العلم أن الصراع لم يكن بربريا عربيا بل كان حواراً حضاريا ثقافيا وفكريا، على أن الصراع يبقى صراعا مهما كانت مبرراته، حيث تلعب فيه المصلحة أكبر الأثر، فمثلا الصراع الصنهاجي الزناتي صراع محلي مرير، وهنالك بالمقابل أيضا الصراع القيسي اليمني عانى منه المشرق والمغرب جميعا[17].

لقد نشطت سعيدة المهلبية في إيجاد دار يجتمع فيها الاباضية بالليل، وكان يحضرها ابن الربيع العباسي، وقد دخل مجالسهم، وعرف المشايخ بوجوههم ومنازلهم وأسمائهم، وفي يوم بدا له أن يعتق واحدة من الجاريتين يريد أن يتزوجها فأبت عليه، وقالت الحمد لله الذي نجاني منك، فغضب عليها، ثم أعتق أخرى لينظر ما تفعل، فلما أتم عتقها كررت فعل صاحبتها، فقال لهن: إنما خدعتني حتى أدخلتني في دينكن، فلما أعتقتكن من أجل إكرامكن بل تزوجتكن (أتخدكن زوجات لا كما كنتن جوارى سريات) أبيتن فغضب فانتقم بأن كتب إلى أبي جعفر المنصور بأسماء المشايخ ومجالسهم، وكتب بأن سعيدة يجتمع عندها الإباضية في سرداب لها في دارها فلما قرأ الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور الكتاب دفعه إلى عبد الله أبي الربيع، والد الواشي الوضيع فلما قرأه، رد عليه بدهاء: ابني قد جن، ففقال أبو جعفر: فأرسل إليك طبيبا يداويه قال: لا أحب أن أشهره ولكن ابعث لي الأدوية، وستر أمره خوفا من فضيحة الناس إذا فشا في علمهم بأن سعيدة جارية الأمير المعتقة إباضية، لا بل أن الإباضية يجتمعون في دار ابنه الربيع، وهو دليل على قوة الإباضية ونفوذهم (كما وصف دَبُّوز) وهنا يميل إليهم الناس، فستره الخليفة المنصور وسكت عنه.

3-ب): صلاح وسعادة المرأة الإباضية الرُّسْتُمِية

16 مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، رقم: 1298.

17 ابن عذارى، البيان المغرب، تح: س كولان، ليفي بروفنسال، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009، ج:1، ص: 50.

يطوي الشيخ المراحل التاريخية في مؤلفه الهام ليروي لنا عن حياة البيت الرستمي، فيقول بأن المرأة في الدولة الرُّسْتُمِية كانت متربية في بويتهن، ومتكونة في مدارسهن الرشيدة، وكل ذاك بفضل توجيهات آبائهن وأزواجهن، وأيضا بهذه الدروس المسجدية التي تملؤها بأسباب الصلاح، لقد كانت بهذا صالحة، مثقفه العقل يسيطر على دينها وعقلها، لا على غرائزها وأهوائها كبنات المدارس الاستعمارية، فالكاتب هنا يركز على القيم الروحية ضد المشاهد التي يشمئز منها من خلال تصرفات ثلة من بنات المدرسة الفرنسية، ويعقب لقد كانت المرأة في الدولة الرُّسْتُمِية مثلا للصلاح والثقافة والإسعاد لزوجها، يحتفظ في ظلهن بكل سعادة وهناء وتفيض الديار بهن من كل أنس ومحبة ونعيم وحضارة، ويفتحن بينهن استقامتهن وإخلاصهن وحبهن للزوج والأسرة أبواب البركات، والخيرات والنجاح في كل الميادين، ويجعلن الحياة تبتسم للزوج[18]، ويعلل الشيخ دَبُّوزْ ذلك بأنه: إشراق الدين وبريق الإخلاص والوفاء والمحبة هذا هو السحر الباهر، وهذا هو الجمال الرائع الأخاذ.

1-4): تعلق المرأة الإباضية بالعلم وبالمساجد

كانت النساء يحضرن الدروس في المساجد، وكنَّ يتقاطرن في وقت الصلاة إلى أقرب مسجد منهن فيصلين جماعة، ويحضرن الدروس بين الصلوات، وينقلنه في وجدانهن وعقولهن لمنازلهن، فيعرفه ويشعر بروحه كل من لم يستطع الذهاب إلى المسجد من ربات البيوت، ويعلمنه لأطفالهن الذين يصطبغون بها[19].

لقد كان في كل مسجد من مساجد الدولة جناح خاص للنساء يفصله عن قسم الرجال جدار فاصل يستر النساء، ولكنه لا يحجب عنهم صوت المدرس، وتلاوة الإمام ولا زالت هذه السيرة الإسلامية الحميدة في مساجد واد مزاب بجنوب الجزائر إلى اليوم، فترى في كل مسجد قسما خاصا بالنساء يمتلئ بهن في وقت الصلاة، وفي الدروس الحية التفسير، الحديث، سيرة الرسول، والخلفاء الراشدين وفي الأخلاق وفي الأمراض الاجتماعية كلها خاصة بعد صلاة المغرب، ويصف الشيخ دَبُّوزْ ذلك بعين المؤرخ المتحمس فيقول: "وإنك ترى النساء يتشربن الدروس في حرارة وحماس وانتباه، فتراهن

18 دبوز، تاريخ المغرب، ج2، ص: 360.

19بوبة مجاني، دور المرأة في الحركة العلمية بجبل نفوسة من ق3-6هـ، مجلة الحياة، ع:2، جمعية التراث، القرارة، غرداية، 1419هـ/1998م، ص: 128.

والحمد لله حلاوة لأزواجهن، يسعدنهم، وصلاحا وطهرا للمجتمع، وترى الأزواج بصلاحهن، وثقافة عقولهن في نعيم وهناء وفي طمأنينة وسعادة"20.

لقد كان تشتهر في الدولة الرُّسْتُمِية الكثير من النساء العالمات المجاهدات في أرض المشرق أو المغرب الإسلاميين ومنهن نجد: آمنة زوجة الصحابي جابر بن زيد، وابنته الشعثاء في أرض المشرق، أما في العدوة المغربية فنجد أسماء لامعة ومنهن: أخت الإمام أفلح التي كانت تتقن الفلك والتنجيم وكانت تناقش العلماء وتجادلهم في مسائلهم العلمية بمجالسهم[21].

وأيضا عافية أم ماطوس (ق3ه/9م)، تعلمت على يد أبي محمد خصيب التمصمصي بمدرسته في تَمَصْمَصْ بجبل نفوسة، وكانت تلتقي بالأمير أبي الربيع سليمان الباروني لمناقشة قضايا الأمة، كانت تمثل النساء في مجالس العلم[22].

وعرفت بهلولة النفوسية (ق3ه/ 9م) العالمة التي جعلت من بيتها مزارا للعلماء ومنهم عامل نفوسة أبو ذر أبان بن وسيم الوغوي الذي تزوجها[23]، وقد سألها زوجها يوما عن النسوة اللائي يحضرن مجلسه، فحثته عن كثرتهن وشغفهن بالعلم والتعلم، فقال لها: زيدي الزيت في الفتيلة، وعرفت أيضا أم زكَّار (ق3ه/9م) الصاحة المجتهدة العابدة[24].

واشتهرت شكرت (الزعراوية) الزعرارية (كانت حية سنة 283ه)، من أهل حليمة بجبل نفوسة، تعلمت على يد أبي غيلون من أهل كيزون، وعن جندول، وعن أبي وسيم الويغوي، وزوجها أبو ميمون التمصليتي، وعن أم يحي، وكان يجتمع عندها العزابة والطلبة للعلم، ووصفها البغطوري بأنها أفضل نساء زمانها[25].

وأم يحي زوجة الجيطالي أبو ميمون (ق:3ه/9م)، لقد كانت كثيرة الحفظ؛ فحفظت ثمانين بيتا من أندلسي مرة واحدة في طريق الحجّ، وحفظت كتاب الخليل الصالح في قراءة واحدة، ثم قرأته على النساخ.

20دبوز، تاريخ المغرب، ج2، ص: 360.

21 عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، دار النهضة العربية دط، بيروت، 1991، ج1، ص: 275.

22الشماخي، السير، ص : 317.

23 نفسه، ص: 217.

24 نفسه، ص: 239.

25*البغطوري: سيرة أهل نفوسة (مخ) 27-30، 55.

وأمّ الخطَّاب كانت حية (3هـ/9م) من بلدة أغرميمان ناحية تغرمين من جبل نفوسة، كانت نصرانية، ثم أسلمت لما تزوجها أبو يحي الأرذالي، فحفظت القرآن الكريم وصارت مرجعا للفتوى للنساء[26].

وعرفت أخت الشيخ عمروس بن فتح المساكني(ق3هـ/9م) قاضي جبل نفوسة[27].

وهناك في القرن الرابع للهجرة ثلة من النساء العالمات مثل: أم سحنون اللالوتية (ق4هـ/10م) علمة من عالمات لالوت بجبل نفوسة بليبيا، كان يستنصح الشيوخ منها، وكانت أفضل عجوز بالجبل[28].

وأم زعرور نانة (كانت حية حوالي ق4هـ/10م)، زوجة أبي محمد التغرميني، أصلها من إجطال، تلقت العلم على يد عبيدة بن زوارة التغرمتي، وكانت تقية ورعة، وكانت أستاذة لأم يحي[29]،

أيضا عرفت آسية في القرن الخامس للهجرة؛ ويغو عاشت كانت حية(5هـ/10م)، عاصرت أبا يعقوب البغطوري، وأبا محمد ورسفلاس بن مهدي، المتعلمة ابنة مسور يصلتن النفوسي الأونطي المعاصر للإمام عبد الوهاب،

كما عرفت في القرن الخامس للهجرة سرغينت وأم الربيع الوَرْيُورِيَةُ (ق5هـ/11م) امرأة عالمة صالحة من وريوري بجبل نفوسة، كانت تختبر العزابة في معارفهم[30].

هذه باقة من كثير ممن المشهورات وكثير منهن المغمورات من النِّسْوة العالمات العاملات[31]؛ من أمثال -أم داود كانت عالمة ورعة وخاشعة وتخشى الله[32]، وزينب اللألوتية كتنت تعتني بالعلم في الجبل[33].

يستشهد الشيخ دبوز بالشماخي فيذكر النساء في مسجد من مساجد جبل نفوسة، ويذكر ولع العلامة الشيخ أبي زكرياء يحي بن الخير الجنَّاوني[34] -وقد عرف بالبحث

---

26 الباروني سليمان بن عبد الله النفوسي، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، مطبعة الأزهار البارونية، مصر، دس، 178.

27 أسماوي صالح بن عمر، نظام العزابة ودورهم في المجتمع الاباضي بميزاب، المطبعة العربية، د طن غرداية، الجزائر، 2005، ص: 307.

28علي يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ج3، ص: 178.

29 الشماخي، السير، ج1، ص: 249.

30 الوسياني: سير (مخ) 162/2، 254.

31فطيمة بلهواري، مرجع سابق، ص: 468.

32الشماخي، المصدر السابق ، ج1، ص: 303.

33نسفه، ج1، ص: 210.

والاستقصاء والاطلاع، ومما ذكر عنه أنه أقام عند أبي الربيع مدة طويلة في مسجد :إِبنَّايَنْ؛ وكان من عادة نفوسة أن يجعلوا سترة على الصف الآخر من المسجد وذلك في جميع مساجدهم يدخله النساء لسماع العلم وللصلاة ليكون بينهن وبين الرجال حجابا فلما أراد الشيخ الجناوي الانصراف من عند شيخه والموادعة قال أمهلوني حتى أدخل خلف السترة لأراه لعلي أسأل عنه"[35]، وواضح بأنه وقع في ذلك الخطء لأنه لا يعرف لم فائدة الستار ولا يسمع أصواتا من خلفها لحشمتهن و وقارهن، وكان من نتائج الحضور والتعلم من النسوة ظهور علم جديد لُقِّبَ بعلم العجائز[36].

2): قراءة في أصول أمهات الأئمة الرستميّين

يتناول دَبُّوزْ بشيء من التفصيل الأصول الإثنية لنماذج من الأسر الرُّسْتُمِية، وفي ثناياها يظهر بجلاء اعتزازه بالدولة التي ينتمي إليها وهذا واضح من خلال كلماته الأدبية، ولكنه يضع ذلك في إطار تاريخي بحت، إذ يخصص جزءا من كتابه لوصف الأمر والذَّوْد بنفسه عن مشاعر العصبية التي جعلها مذمة عند أنداد الرُّستُمِيين وخصومهم.

1-2): أمهات الأئمة الرُّستُمِيين

2-أ): أصل ام عبد الرحمن وزوجها

يطرح الشيخ دَبُّوزْ إشكالية جنسية أم عبد الرحمان بن رستم هل تكون فارسية جاء بها أبوه من فارس أم عربية تزوجها في المدينة ؟، ويرد بحكمة كما يلي: إن بهرام كان مولى لعثمان بن عفان(رض)[37]، فإنه إن أقام طويلا في المدينة وولد له رستم بها، واتخذها دار سكنه ومحل إقامته فإن أمه حتما ستكون عربية من أهل الجزيرة، أما إذا كانت دار إقامته في فارس فإن أم عبد الرحمن فلابد أن تكون فارسية، حيث إن اسم عبد الرحمن

---

34 صاحب الكتب المفيدة، منها كتاب الوضع، أبو نصر فتح بن نوح صاحب القائد المقيدة في الوعظ والحكم والشرائع والتوحيد. بالحاج قشار، اللمعة المضيئة في تاريخ الإباضية، ص: 46.

23.أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي، كتاب السير،تح: أحمد بن سعود السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1407ه /1987م، ص: 536.

36الشماخي، المصدر السابق، ص: 509.

37 بهرام وبهرام هو مولى عثمان بن عفان وهو بهرام بن بهرام جور بن شابور بن باذكان بن شابور ذي الأكتاف ملك الفرس. ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، ج:3، ص 202.

يدل على تمكن عبد الرحمن بن رستم في الإسلام وعلى تعربه فاختار له هذا الاسم، وكان الإسلام يخلع عليها حلة العربية القشيبة، فظهر ذلك في أسماء أبنائهم، ثم يضيف بأن الجمال القوي الذي كان يتصف به عبد الرحمن، وتحمس والدته للحكم الشُّورِي (اللا ملكي) لصالح الحكم الوراثي (الجمهوري) جعلها تختار زوجة لابنها عبد الرحمن من قبائل بني يفرن الزناتية البربرية، وليس من الأسر المحلية العربية في القيروان[38]، وهي مثال للصلاح والتقوى والثقافة العلمية[39].

إن كل هاته المعطيات جعلت المؤلف يرجح بأن أمه فارسية الأصل، أما أبوه فهو من الأمازيغ، حيث إنه لو كان عربيا من بني سام لأثَّر في زوجته العربية فتجنح إلى ما جنح إليه أغلب العرب في اختيار عربيات وفي اختيار زوجة من جنسها، فلقد عرضت عليه بربرية فهي غير متعصبة ومتمسكة بالدين، وبخصائص البربريات الكريمة، وهو ما جعلها تمتزج بالبربر أكثر وتراهم قوامها وعشيرتها، بل إن أمه قد دلت ابنها عبد الرحمن على قبلة الثورة: أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة كما قال بعض المؤرخين، فسافر إليه وتعلم منه حتى صار من أقطاب الرُّستُمِيين[40]، ويستشهد الكاتب بما قاله الشماخي في ذلك الأمر: "فلما سمع عبد الرحمن ما سمع من سلمة بن سعد[41] وتعلق قوله بقلبه فطلب ذلك قال له رجل من أهل الدعوة إن أردت هذا الأمر الذي كلفت به فعليك في البصرة برجل عالم فيها يقال له: أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة تجد عنده ما تطلب" وقيل بل أمه هي التي قالت له ذلك[42].

ويستمر الشيخ المؤرخ في الاستشهاد والاحتجاج برأيه فيقول: لقد كان الجو قاتما في الزمن الذي نقدره لزواج عبد الرحمن وهو عهد عبيد الله الوالي ابن الحبحاب في (عصر

38أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ج: 3، 1978، ص: 523.

39 شرقي، ملياني، المرجع السابق، العبر، ص: 352.

40 عبد الرحمن تركي، نشأة الإباضية بالمغرب العربي دارسة تاريخية ومذهبية، ص: 6.

41 بنو سلمة بن سعد بن علي بن راشد بن سادرة بن تزيد بن جشم بن الخزرج، والخزرج قد تقدم نسبه عند ذكره وليس في العرب سلمة بكسر اللام سواهم، قال: والنسبة إليهم سلمى بفتح اللام، منهم أبو قتادة الأنصاري صاحب رسول ﷺ واسمه البرا بن معرور، وجابر بن عبد الله الأنصاري الصحابي وجماعة كثيرة غيرهما من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين شهد بدراً. نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب ج1، ص 100.

42 الشماخي، السير، 1301هـ، ص: 124.

الولاة)، وقد كان البربر في كل مكان يستعدون لثورتهم على الأمويين الذين احتقروهم وجاروا عليهم، وكانت الهوة سحيقة بين القيروان التي تناصر الملوك الأموية وبين المغرب الثائر ضد الأمويين المستبدين وأنصارهم، فالمهم هنا أن أم عبد الرحمن ما كانت لتصاهر آل يفرن -المشهورين بثرواتهم وعدائهم للأمويين- إلا إذا كان لها داع من دمها أو زوجها[43].

هناك بعض المراجع التي تناولت الموضوع؛ فمثلا؛ الباحث عبد الرحمان تركي يعتمد على المصادر الاباضية ليؤكد بأن أباه قيرواني[44]، ولكن لا يؤكد جنسه-الفارسي- ولا يفْصِل فيه كما فعل الشيخ دَبُّوز، فلعل أباه كان عربيا ولعله لم يكن، ولكن المهم أنه أقام أول دولة إسلامية محلية بسواعد محلية ونرى أن ذلك هو الأهم في الأمر لقيام الدولة الاباضية بأرض المغرب الإسلامي.

2-ب): أم أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم ونسبها

ماذا عن نسب أفلح بن عبد الوهاب؟

إن أبا أفلح هو عبد الوهاب، وقد كان خلوقا ذكيا كما ورث ابنه ذلك، فأما أمه فلم يذكر لنا المؤرخون عنها شيئا، ولعلها من قبيلة يَفْرَنِيةً زناتية فلا شك أنها بربرية، وكذلك زوجته حيث يفترض الشيخ عن حرصها أن تزوج ابنها عبد الوهاب من قبيلتها، ومن بنات قومها، فهذا هو طبع النساء، وما تؤثره كل امرأة هو أن تزوج ابنها من قومها ومن بنات عشيرتها، سيما اللائي يعتدن بأنفسهم كالبربر، الذين ينزعون إلى الاستقلال وعدم الاختلاط، ويستشهد بقول الشماخي في السير:" ومنهم جارون ابن القمرى[45] عامل الإمام عبد الوهاب وصهره وهو زناتي"، فالظاهر أن جارون بن القمري هو جد الإمام افلح من أمه، وأن أمه زناتية كأم عبد الوهاب أيضا.

2-ج) أم الإمام عبد الوهاب بن أفلح

43 دبوز، تاريخ المغرب، ص: 280.

44 عبد الرحمان تركي، نشأة الاباضية بالمغرب العربي، دراسة تاريخية ومذهبية، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع:7، جوان2016، رمضان 1437هـ، جامعة الشهيد حمة لخصر، واي سوف، ص: 6.

45 الشماخي، السير، ص: 203.

لقد كانت أم الإمام عبد الوهاب بربرية من بني يفرن الزناتة، فبنو يفرن قبيلة من شعب زناتة، ويتصفون بالشجاعة وبالعزة والإباء وبالاعتداد النفسي لا ينامون على الضيم، ولا يرضون بالهوان ولا يسكتون على الظلم، ويحبون المعالى، طماحون إلى المعالي في كل الأشياء، وقد امتزجت الدماء البربرية بالدماء الفارسية في الإمام عبد الوهاب، وورث خصائص ابيه الفارسية وخصائص أمه البربرية فكان فذا في قوة الشخصية وفي الذكاء والشجاعة وقوه البنيان[46].

وكان الإمام عبد الوهاب كما ورد في جمال الشخص من أبيه وقوه البنيان وطول القامه من أخواله، فذكر أبو زكرياء يحي في كتاب السيرة وأحبار الأئمة:" أن للإمام عبد الوهاب مسجدا (بتلات) كان يصلي فيه ويلقي دروسه أيام اقامته في الجبل قال ابو زكريا:" وفي مسجد الإمام بلاطة يتكئ عليها إدا جلس تساوى رأسه، وهي اليوم (في آخر القرن التاسع) "تحادي رأس الواقف"[47]، فكان على صوره رائعة زادت في شخصيته ونباهته، ولفت اليه العيون، إن أباه في جماله وفي ذوقه الفارسي، وفي طموحه الملوكي، وأمه في حبها لوحيدها، ويعقب بأن البربر معروفون بكثرة الجمال، وهذا يفترض بأن تكون أم عبد الوهاب جميلة وبهية.

ويمكن أن نلحظ بأن الشيخ المؤرخ لم يواصل ذكر أمهات الأئمة الآخرين كأبي بكر، وأبي اليقظان محمد أبي اليقظان بن أفلح، فقد اكتفى بما ذكره وهو كلام مهم كثيرا على العموم، إلا أنني آخذ عليه تصويره الأدبي المنمَّق، وعدم إبراز مصادره التاريخية التي اعتمدها في بعض المواضع مثل الفقرة السابقة.

2-د): صفات أم أبي حاتم

كانت أم أبي حاتم تسمى غزال، وكانت كما قال ابن الصغير من أحب نساء أبي اليقظان إليه، قد امتلكت قلبه بقوة شخصيتها، وبصفاء طويتها وحسن قيامها بالبيت، فكونت لأبي اليقظان فيه جو الجنة الذي بنسيه هموم الإمامة ويستريح فيه من أتعاب الرئاسة، وكانت لحزمها كما قال ابن الصغير:"مالكة لأمور أبي اليقظان وحشمه"[48].

---

46 دبوز، المرجع السابق، ج2، ص: 400.

47 الشماخي، السير، ص: 159.

48 ابن الصغير، أخبار الإئمة الرستميّن، ص: 103.

لقد كانت غزال إلى قوة شخصيتها وذكائها، وثقافتها النسوية، وحسن قيامها الدار، وبراعتها في إدارته، وحياء الدين الذي يسطع في محياها، ويورثها نورها وإشراقها فتكون به نجمة متلألئة، لقد كانت (السَتْ) غزال جميلة بارعة الجمال، فاستطاعت أن تملك الشيخ فمال إليها، فكان طفلها المدلل، وحبيبها الأثير[49]، وحقيقة لا أدرى من أين جاء بكل هاته الصفات الجميلة هل هو تحليل لقول ابن الصغير المصدري أم أنه نوازع الأدباء وبحار الشعراء التي فيها يهيمون.

2-2): مواقف الكاتب من أبرز قضايا مؤلفه

2-3): موقف الشيخ دَبُّوزْ من العصبية والقبلية والعنصرية

إن القارئ لما كتبه الشيخ المؤرخ قد يسوقه تأويله إلى فهم التعصب أو الإقصاء من الشيخ، خاصة باختيار زوجات بربريات والثورات المتعاقبة على الملوكيين وما شابه، وهو الشيء الذي جعل الشيخ يكتب في كل مرة مستعيذا من العصبية المنتنة، فيؤكد بأن الثورة لم تكن ضد عرق أو دين بقدر ما كانت ضد بعض من الحكام الطاغين المستبدين، ثم إن البربر وبناء على تمسكهم بالدين فقد طهرهم الإسلام من العصبية وفتح صدورهم لكل المسلمين بغض النظر عن أعراقهم، فامتزجوا بهم امتزاج الماء بالماء، والانفاس بالأنفاس في قُبُلات الحب العميقة، والنغمة بالنغمة في ترنيم الاوتار الموسيقية -كما يصفهم الشيخ دَبُّوز-، فصاروا يحترمون في المرء دينه وصلاحه واستقامته، ويقدمونه لعلمه وكفاءته، فلا يتعصبون لعرقهم ولا يتحيزون لحسب المرء ونسبه في اختيار الرؤساء والموظفين لدولتهم، فلذلك اختاروا الإمام عبد الرحمن بن رستم، إماما للدولة الرُّسْتُمِية، وهو فارسي ومن المشرق لا من المغرب الكبير.

2-4): آماله في تقويم المرأة المعاصرة

انطلاقا من القيم والمواقف النبيلة التي ظل يرددها التي جعل منها قوة تاريخية، ، وسعيا منه للاقتداء، فقد أظهر في الجهة المقابلة في نقدا لواقعه الذي كان يعيشه في زمنه المعاصر (ما بعد 1940م) لؤمه الشديد للنساء المسترجلات اللائي أدرك بعضهن خلال عصره خاصة في القاهرة أين كان يؤلف كتابه، حيث يؤنّبهن على العادات الاستعمارية في الزينة والتبرج، وهو في كل هذا يتألم ويسعى لإظهار شخصية المرأة

49 دبوز، تاريخ المغرب، ج2، ص: 519.

الرُّسْتُمِية الطاهرة مقارنا مفتخرا مؤرخا، فيقول:" ليت مغربنا الكبير وهو يتمنى الحياة الهنيئة السعيدة ويريد أن يكون أكبر دولة إسلامية ترجح بها كافة المسلمين في كل الميادين، يوقن بأن ذلك يكون بالمرأة الصالحة المثقفة التي يعمر الدين الإسلامي العظيم جوانب نفسها، ويورثها كل ثقافة وصلاح ويورث المجتمع منها والدولة كل طهر وقوة، فيرضى عنها.

ولأن الشيخ المؤرخ الأديب كان يبني القيم فهو هنا نجده يشن الغارة تلو الغارة على بعض النساء في عصره؛ فيقول: إن هذا الجمال الفطري خلت منه النساء المتفرنجات المتمثلات اللائي سلختهن المدارس الفرنسية في مغربنا من دينه وحياء الدين وروعته وأخلاقه العظمى، وزادتهن السينما الهدامة والأغاني المخنثة المائعة، والقصص الماجنة المسمومة، والمجلات المتهتكة، ومفاسد الحضارة الأوروبية التي تطلقها اوروبا المستعمرة علينا معشر المسلمين وهي أشد فتكا من نار مدافعها وقنابلها إذ تنسف الدين وقواه في النفوس، وتفسد معدن المرأة.

الخاتمة: رغم أن الكاتب كان يكتب في التاريخ الوسيط، فلقد استخدم عدة مصطلحات معاصرة تلائم الوقت الحاضر أكثر من الماضي وذلك من أجل تقريب الرؤية للقارئ وذلك من قبيل: "الجمهوريين" وهو عكس الداعين للحكم الفردي الملوكي وهو نقيض الحكم الشوري، وأيضا استخدامه مصطلحات مثل "المؤمنين بأن الملك للجميع" ... كما استخدم مصطلحات أخرى مشابهة مثل: الديموقراطية، وهذا لتوضيح آرائه ومواقفه التي كتبها في قالب متحمس جدا وثورة حتى النخاع، وهي وإن كانت لا تصلح لذلكم الزمان، فإن هذا هو أسلوبه وطريقته ومنهجه في التاريخ، وقد وجدت استعمال كلمة الجمهورية عند شيخ المؤرخين في التاريخ الوسيط في الجزائر، وهو الدكتور موسى لقبال (رحمه الله)[50].

لقد حاول الكاتب إظهار قيم الدين الإسلامي، وأن الأصل هو أن الحكم للأكفأ وذلك بالاستناد للحديث النبوي الشريف: (اسمعوا وأطيعوا وإن أستعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة) وهذا عكس من يدعوهم بالملوكيين الذين يحصرون الحكم في عائلة وطائفة معينة ومثل ذلك أصناف الأمويين والعباسيين وحتى العلويين ومن شايعهم.

50موسى لقبال، المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص: 147. للعلم فقد تشرفت بالدراسة عند المرحوم بجامعة بوزريعة بالعاصمة الجزائرية.

إن النساء الإباضيات الثائرات لم يكن أمازيغيات فحسب، بل كن من مختلف الأعراق وبالمبدئ عربيات -حيث كانت الثورة قد قامت في أرض المشرق قبل أن ينتقل لهيبها إلى أرض المغرب الإسلامي-، وذلك بسبب ظروف القهر المسلط من الأمويين خاصة في عصر الولاة، وهو الأمر الذي ولَّدَ لدى الناس قبولا، وقد كانت الكيانات القائمة كنتيجة لتلكم الثورة كلها كيانات ودول إسلامية (رستميون، أدراسة، وأغالبة ..) ولم نسمع عن ثورة مسيحية، فهي ثورة إسلامية لتصحيح الأوضاع الراهنة والانحراف الحاصل تحت راية الإسلام تحديدا وحصرا.

يظهر لي بأن ثورة البربر وحماس الشيخ الجموح في مؤلفه يبررها -على الأرجح- ما أكده الطبري من مسالمة البربر لريح الإسلام، حتى برز بعض حكام عصر الولاة المستبدين، وعدم نجاح مفاوضات وفد مسيرة السلمية، وربما الحنين إلى ما فعله الخليفة الأموي العادل "الخامس" عمراً بن عبد العزيز في وقف الفتوحات في أرض المغرب وحتى المشرق، وتأكيد ذلك في قولته الشهيرة: "بعث محمد (ﷺ) هاديا ولم يبعث جابيا"، بحيث أن موقف الشيخ يظهر بأنه إصلاحي واضح، وضد وضع معين كان قائما ولم يكن مقبولا، وكان سببا في قيام الإمارات المحلية الإسلامية.

تظهر قوة شخصية الكاتب الكبيرة من خلال دفاعه المستميت عن آرائه ولغته المتينة القوية ووصفه الدقيق، ورغم استغراقه في الإطناب أحيانا، فإن معلوماته غاية في الأهمية والقيمة التاريخية.

من أجل إعلاء المرأة الاباضية وفي مقارنة مع وقته المعاش في ثورته على ما يسمّيهن بالمُتَفَرْنِجَاتِ، فقد شن عليهن مختلف الحملات في الكثير من المرات، وكان يقابلهن بالمرأة الاباضية التقية الورعة الأشرف والأزكى منها ويجعلها قدوة تحتذى.

مثلت الاباضية ومذهبها الوعاء الحقيقي لتجذر الإباضية بالرغم من الصعوبات وأنشأت أجيالا على الفكر الاباضي[51].

من الآفاق والتوصيات التي أشدّد عليها؛ هي أننا نحث على تحقيق التراث الهام الذي تركه الشيخ دَبُّوز محمد علي، إذ تشكل فهارس المخطوطات التي خطها الشيخ دَبُّوزْ

51إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، نشر جمعية التراث، القرارة الجزائر، ط2، 1993، ص: 377.

كنزا مهما جدا، لابد من عرضها على الطلبة والمحققين لدراستها في بحوثهم وجعلها مادة لمذكرات التخرج في الدراسات العليا وفي مراحل التدرج، وذلك من أجل الاهتمام بالتراث المحلي الجزائري بدل اجترار التراث المشرقي المدروس بغزارة على حساب التراث المحلي الأقل دراسة، والأقربون أولى بالبحث، وتاريخ المنطقة وبخاصة مغربنا الأوسط ينقصه الكثير من البحث والتدقيق والنقد والتحقيق في تراثه العميق.

مصادر البحث:

1. أبو أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي، كتاب السير،تح: أحمد بن سعود السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1407ه /1987م.
2. جعفر محمد بن جرير الطبري تاريخ الامم والملوك، ج:1 بمطبعة " بريل " ليدن في سنة 1879م، ج7.
3. حسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين، ابن الأثير (ت: 630ه)، الكامل في التاريخ، تح عمر عبد السلام تدمري، ج3، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1417ه/ 1997م. أبو
4. أبو حسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ج: 3، 1978.
5. سليمان بن عبد الله النفوسي الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، مطبعة الأزهار البارونية، مصر، دس.
6. ابن الصغير المالكي، أخبار الإئمة الرُّستُمِيين القرن الثالث، المطبعة الجميلة، 1985.
7. عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، محيي الدين (ت: 647ه)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تح: الدكتور صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1426ه - 2006م.
8. ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: س كولان، ليفي بروفنسال، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009، ج:1.

9. محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن، تح: ماريا خيسيوسبيغيرا، الشركة الوطنية للنشر، دط، الشركة الوطنية للنشر،الجزائر، 1981.
10. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261ه)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
11. ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، ج:3.

مراجع البحث:

1. إبراهيم بحاز، الدولة الرُّسْتُمِية، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط2، نشر جمعية التراث، القرارة الجزائر، 1993.
2. بابا عمي وآخرون، مج مؤلفين، معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب) جمعية التراث، دار الغرب الإسلامي، 1999م.
3. بالحاج قشار بن عدون، اللمعة المضيئة في تاريخ الإباضية، 1989.
4. صالح أسماوي بن عمر، نظام العزابة ودورهم في المجتمع الاباضي بميزاب، المطبعة العربية، د طن غرداية، الجزائر، 2005، ص: 307.
5. عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، دار النهضة العربية دط، بيروت، 1991، ج1، ص: 275.
6. محمد بن رزق بن عبد الناصر بن طرهوني الكعبي السلمي أبو الأرقم المصري المدني، التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1426هـ
7. محمد صادق النجمي. أضواء على الصحيحين ترجمة: يحيى كمالي، مؤسسة المعارف الإسلامية. 1419 هـ، پاسدار اسلام، ج:2.
8. محمد علي دَبُّوزْ، تاريخ المغرب الكبير، ج2، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2010م.

المقالات:

1. بوبة مجاني، دور المرأة في الحركة العلمية بجبل نفوسة من ق3-6هـ، مجلة الحياة، ع:2، جمعية التراث، القرارة، غرداية، 1419هـ/1998م، ص: 128.
2. شرقي نوارة، ملياني زينب، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج: 05، ع: 3 جوان، 2022.
3. عبد الرحمان تركي، نشأة الاباضية بالمغرب العربي، دراسة تاريخية ومذهبية، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع:7، جوان2016، رمضان 1437هـ، جامعة الشهيد حمة لخصر، واي سوف، ص: 6.
4. فطيمة بلهواري، المرأة الإباضية وإسهامها في الحركة الثقافية لبلاد المغرب، مجلة الحضارة الإسلامية، ع:16، الصادر ب2012/05/01.
5. محمد بن صالح حمدي، فقه المال العام عند الإباضية، جامعة باتنة، مجلة الحياة، معهد الحياة القرارة، غرداية، 1428هـ، ع: 11.